**بسم الله الرحمن الرحيم**

**مبدأ مفهوم الوحدة الإسلامية** **وتطبيقاته في القرآن الكريم** ([[1]](#footnote-1)\*)

د. يحيى آل دوخي

إنّ الوحدة الاسلامية مبدأ أكّده القرآن الكريم بأروع وأجمل صورة، بقوله تعالى: **{إِنَّ** **هَذِهِ** **أُمَّتُكُمْ** **أُمَّةً** **وَاحِدَةً** **وَأَنَا** **رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}**[المؤمنون: 52] **وقوله:{إِنَّ** **هَذِهِ أُمَّتُكُمْ** **أُمَّةً** **وَاحِدَةً** **وَأَنَا** **رَبُّكُمْ** **فَاعْبُدُونِ}**[الأنبياء: 92].

فالقرآن يؤكّد على مبدأ الأمة الواحدة، القادرة على التعايش والتكيّف فيما بينها، وما أحوجنا اليوم الى تجسيد وتفعيل هذا المبدأ على أرض الواقع للوصول إلى الأهداف الكُبرى التي تجمع شمل المسلمين على كلمة التوحيد. ولابد لنا كمسلمين من نقاط الالتقاء فيما بيننا وإشاعة روح التسامح والمحبة والود وحسن الظن بالآخر، فما لم نحمل تلك الروح لا يمكن أن نصل الى يحقق الأمة الواحدة التي نادى بها القران الكريم لتمهيد بين المسلمين، وخاصة في الظروف التي يددور فيما الصراع بين الحقّ والباطل.

أبعاد مفهوم الوحدة في القرآن الكريم

1**-   الاعتصام بحبل الله تعالى**

تنوعت أساليب القرآن الكريم في الدعوة لهذا المفهوم فتارةً يدعو صراحة كما في قوله تعالى: **{وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً.... }**[أل عمران: 103]

قال السيد الطباطبائي**: هذه الآية تتعرض لحكم الجماعة المجتمعة والدليل عليه قوله (جميعاً) وقوله (ولا تفرقوا) فالآيات تأمر المجتمع الإسلامي بالاعتصام بالكتاب والسنة كما تأمر الفرد بذلك<**[تفسير الميزان: ج3ص369] وقال القرطبي**: >فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة<**[تفسير القرطبي: ج4 ص159]

**2-  إصلاح ذات البين**

وتارة أخرى نجد أن القرآن الكريم يأمر للوصول إلى الوحدة بأمور منها الإصلاح بين الأخوين وإصلاح ذات البين فهي من الأمور التي تخلق روح الوحدة بين المسلمين  قال الله تعالى: **{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**[الحجرات: 10]

وقال: **{ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ}**[الأنفال: 1].

قال الإمام الصادق×: **> المسلم أخو المسلم، وحق المسلم على أخيه المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروي ويعطش أخوه، ولا يكتسي ويعرى أخوه...<**[بحار الأنوار: ج71 ص221].

روى البخاري بسنده عن أَنَس بْن مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ’**: > لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام<**[صحيح البخاري: ج7ص88].

**3-  النهي عن الافتراق والاختلاف**

 ومن أساليب القرآن والسنة في الدلالة على وجوب الوحدة بين المسلمين النهي الصريح عن الافتراق والاختلاف الذي هو ضد الوحدة والاجتماع.

قال الله**: { وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُواْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰابِرِينَ}**[الأنفال: 45]

وكذلك قوله تعالى**: {وَلاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ ٱلْبَيّنَـٰتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [آل عمران: 105]

**4-  أن يتولّى المسلمون بعضهم للبعض**

ذكر القرآن بُعداً آخر للحث على الألفة بين المسلمين وهو أن يكون المؤمنون أولياء بعضهم للبعض الآخر ويحب أحدهم الآخر وينصره، وعندئذ تكون الرحمة قد نزلت عليهم لتآخيهم ومودتهم وحبهم فيما بينهم.

قال الله تعالى**:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**[التوبة: 71].

**منهج تحقيق الوحدة الإسلامية**

لو أردنا أن نخلق الوحدة الإسلامية الحقة لابد أن نضع لها مبادئ وأسس من شأنها أن تقرّب بين المسلمين بصورة صحيحة وجادة نذكر منها ما يلي:

**الأساس الأول:** الإيمان الواقعي بالوحدة بين المسلمين.

هو أن يكون إيماننا بالوحدة إيماناً حقيقياً نابعاً من الشعور بالمسؤولية أمام الله وأمام المسلمين، وطرح هذا الأمر كمشروع ونظرية حقيقية لنرتقي به إلى المصالح العامة، ومن ثم وضع الخطوات العملية له من خلال التنسيق بين الدول الإسلامية كافة بشكل حقيقي وعلى أعلى المستويات، بحيث يشاع ويتركز هذا المفهوم  كخطاب وحدوي يؤمن به المسلمون بجميع ومذاهبهم.

**الأساس الثاني:** التركيز على القواسم المشتركة.

هناك نقاط كثيرة تجمع المسلمين وتوحدهم، سواء كان على مستوى العقيدة أو الفقه أو غيرها، ولنا تجربة ناجحة في مشروع الشيخ القمي والشيخ شلتوت ومحمد عبدة وجمال الدين والسيد شرف الدين والشيخ سليم البشري والشيخ محمدحسين كاشف الغطاء وغيرهم. فهناك قواسم مشتركة لابد من غرسها في أذهان الأمة الإسلامية وجني ثمارها بمشروع وحدوي لا يمكن أن يفت عضده أعداء الإسلام مهما جندوا له من أفكار مضادة.

**الأساس الثالث:** زرع ثقافة الحوار بين الرأي والرأي الآخر بحكمة وشفافية .

إن ثقافة الحوار هي مبدأ إسلامي ركز عليه القرآن، قال تعالى: **{ادْعُ** **إِلِى** **سَبِيلِ** **رَبِّكَ** **بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ** **الْحَسَنَةِ** **وَجَادِلْهُم** **بِالَّتِي** **هِيَ** **أَحْسَنُ}**[النحل: 125]

وقال تعالى: **{ادْفَعْ** **بِالَّتِي** **هِيَ** **أَحْسَنُ** **فَإِذَا** **الَّذِي** **بَيْنَكَ** **وَبَيْنَهُ** **عَدَاوَةٌ** **كَأَنَّهُ وَلِيٌّ** **حَمِيمٌ}**[فصّلت: 34]. فالعدو بغض النظر عن هويته كما نفهم من هذه الآية الشريفة عند الحوار بالتي هي أحسن، يخلق جواً هادئاً من الألفة بينهما بحيث يكون ولي وحميم، فكيف الحال لو كان الحوار بين الأخوة- أخوة الايمان وأخوة الدين والعقيدة- فيما بعضهم البعض.

**الأساس الرابع:** مبدأ التسامح والارتقاء الى هيمنة روح المحبة والإخاء.

لعل واحدة من أهم المشاكل التي أدت الى انتكاس الأمة الإسلامية وتمزيقها هي أننا لم نتعلم منهج التسامح والحب للآخرين، فلا يوجد لدينا كأمة مسلمة منهج صحيح للتسامح؛ بل العنف وعدم تقبل الآخر هو السائد بيننا وواقعنا يشهد بذلك، فما لم نصلح هذا الحال فنقع فريسة الجهل الذي يخلق لنا مجتمع يسوده السباب والشتائم وبالتالي حمل السلاح ليوجهه لصدر أخيه المسلم، والنتيجة هي أمة ضعيفة منقسمة على نفسها مستضعفة لا حول لها ولا قوة بين شعوب العالم الطامحة الى الحضارة والرقي.

**الأساس الخامس:** المصارحة الفكرية والعقائدية وعدم إلزام الآخر بها.

فالوحدة لا تعني إلغاء الآخر أو إقصائه وقصره على اعتناق ما يؤمن به هو؛ بل الوحدة المطلوبة قوامها هو معرفة الآخر معرفة حقيقية ومن ثم بيان الحق الذي أوصله الدليل إليه، ومناقشة الأمور الخلافية بروح من التسامح ووضع الحلول المناسبة لها، من دون أن يلزمه بها، والنأي عن التشدد في الحوار المتشنج الذي من شأنه أن يفرق ولا يقرب.

إذن فالانغلاق على الذات وعدم الانفتاح على الآخرين واتهامهم بالشرك والضلال من دون النظر إلى أقوالهم وأدلتهم، هذه الأمور بمجموعها تخلق لنا مجتمعاً متفرقاً ضعيفاً تسوده الصراعات الطائفية ويهيمن عليه الجهل, ونحن اليوم بأمس الحاجة لان يفهم أحدنا الآخر ويقترب منه فكرياً وروحياً بصورة حقيقية وواقعية وإن كان هناك اختلافا في بعض المسائل، وهذا هو الأمل من كل ما طرحناه في هذا البحث.

**ميثاق الوحدة عند الإمام علي×**

إن أمير المؤمنين يرسم آفاقاً في الوحدة بل وأدباً في الحوار ايضا،ً فكلماته÷ دستور يجب أن يقتفى وميثاق يجب أن يحتذى في كل زمان ومكان ، ولنقتطف بعض من كلماته ...

 قال×**:>الناس صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق<**[شرح نهج البلاغة: ج3 ص84]

وقال مخاطباً أصحابه : > **كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتتبرأون، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر...**< [شرح نهج البلاغة ج3 ص181].

نستنتج مما تقدم من كلماته قواعد مهمة يجب على كل مسلم الالتزام بها:

**القاعدة الأولى:** أن الإنسان أخو الإنسان في الدين ولم يقيده× بقيد التشيع أو التسنن، وكذلك هم أخوه في الخلق في أصل الخلقة والمنشأ.

**القاعدة الثانية:**الالتزام بأدب الحوار فلا يجوز السب والشتم؛ بل يجب وصف مساوئ الأعمال بالتي هي أحسن، فتاثيرها يكون أبلغ وأنجع .

والشيعة تقتفي أثر هذا الإمام الهمام في وصاياه ولا يمكن أن تشذ عنه طرفة عين.

نسأل الله تعالى أن يوحد كلمة المسلمين وأن يأخذ بأيديهم لما فيه الخير والصواب. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وجميع عباد الله الصالحين.

1. **\*** مستل من موقع الدكتور يحيى الدوخي [↑](#footnote-ref-1)